دكتور بهاء الأمير

مجاهد بن عبد الله الأزهري

اختنقت الشمسُ بأنيابِ الظلامْ .. فُتحتْ البوابةُ الخشبية في عنفْ.

دخل الخيالةْ.

وقف الأسمرُ يخترق بعينيه القادم عبر البوابةْ.

ارتفع صوت البارودْ .. وملأ الجو دخَانهْ.

دخل الأشقرُ يعلو جواداً أسود .. إلى الرواق تقدمْ.

أطاح بطرف بندقيته بالقنديل المتدلي من السقفْ.

هُرع الأسمر .. في ركن الرواق ارتمى وتكورْ.

الخيل تدور وسط الصحنْ .. تتسابق من طرف فيه لطرفْ.

جذب الأشقر الكتب من الخزانة.. ضربها بطرف حذائه ، وتنخمْ.

وضع الأسمر فوق ركبتيه العمامة .. وجمع بين رجليه جلبابهْ.

دفن فيها وجهه .. وارتفع صوت بكائِهْ.

تجمع الشُقر دائرة وسط الصحن .. وبرزت زجاجة خمرْ.

علا نحيب الأسمرْ.

ربط الطاووس في القبلة أفراسَهْ.

صعد المنبرَ أشقرْ.

خلع خوذته الحمراءْ .. فك أزرار سترته الزرقاءْ .. خلع سرواله الأبيضْ.

وفي أعلاه تغوطْ.

بال عند سفح المنبر أشقرْ.

الطاووس في وسط الصحن .. قلَّب بين يديه المصحفْ .. ثم تبسمْ.

جاءته الشعلة تتوقدْ.

رفع الأسمر وجهه .. ولبس العمامةْ.

انتفض واقفاً .. تهتز أطرافُهْ.

وضع بين أسنانه طرف جلبابَهْ.

اندفع .. ضرب الطاووس بأكتافِه.

اختطف المصحف من النارْ.

وأطلق رجليهْ.

ملأت رائحة البارود أنفه ، وأحس لسعة في أذنيهْ.

سقطت منه العمامةْ.

●●●

انحنى ليلتقط العمامةْ.

خيط من الدم يسري بين أصابعهْ.

نظر من طرف خلفهْ .. ذو الوجه البارد ما زال يلاحقهْ.

أسرع في عزم خطْوَهْ.

اندس في الماشين .. وضع المنديل على جرحهْ.

ذو الوجه البارد صار ثلاثةْ.

وضع يده على صدره .. تحسس المصحف في جيبهْ.

لاحت مئذنة الجامع عن بعدْ.

ذو الوجه الباردْ .. ذو الوجه الباردْ .. ذو الوجه الباردْ.

قلبه يخفقْ .. عرق يتصببء.

تراءى بباب الجامع وجهُ أبيهْ.

صوت الأم يناديه : جد أبيك سليمانْ.

صوت القرآنْ .. يبعثه شيخٌ في الخانْ.

انعطف يساراً .. وانعطف يميناً.

ابتسم لمرأى البوابةْ.

ذو الوجه البارد يكمن في الحارةْ.

أحكم عمامَته وأمسك جلبابَهْ.

ذو الوجه البارد مد سلاحَهْ.

عن شق ضيق تنفرج البوابةْ.

خطوة .. اثنتان .. ثلاثةْ.

تحضنه البوابةْ .. وتنطلق رصاصةْ.

استقبله الشيخ بخيثُ بتكبيرْ.

أخرج منشوراً من صدره .. ووقع على ظهرهْ.

●●●

مد إليه يديه .. أنهضه بعزم من كتفيهْ.

انتفض لفوره .. نثر الماء على وجههْ.

أوقفه الوسواس : أمك .. أختك .. ثم أخوكْ.

دس المصحف في جيبه واستعاذ من الخناسْ.

اندس في الصفْ .. بين الوسط وبين الخلفْ.

عربات دكناء .. تغلق فمَّ الشارعِ .. تغلق عينَهْ .. تغلق أنفَهْ.

روح الأب تناجيه .. توصيةً بأخيهْ.

صوت الأم يناديه : كن بجوار الحيطانْ .. إن تقدر سر في الجدرانْ.

حشود سوداءْ .. خوذات سوداءْ .. أقنعة سوداءْ .. أردية سوداءْ .. دروع سوداءْ .. عصي سوداءْ.

ترك الخلفْ .. تقدم صفاً صفْ.

حزب البهتانْ .. حبر الشيطانْ.

نار تسري في أحشائِهْ .. تعثر في أستاذِهْ.

ربت على كتفهْ .. سلمه الرايةْ.

دخان يخنقْ .. رصاص يزعقْ.

صف يتهاوى .. صف يتفرقْ.

ربط المنديل على أنفِهْ.

دم ينزف من كتفِهْ.

وقع ظهرهْ.

برقت عيناه .. زحف على بطنهْ.

مسح بكُمِهْ .. دماءَ بوجه ابنةِ عَمهْ!

دكتور بهاء الأمير